بسم الله الرحمن الرحیم

سرشناسه:	جعفری تبریزی، محمدتقی، ۱۳۰۲ - ۱۳۷۷.
عنوان قراردادی:	جبر و اختیار . عربی.
عنوان و نام پدیدآور:	الجبر والاختیار/محمدتقی الجعفری ؛ تعریب حسین الواسطی.
مشخصات نشر:	قم : مرکز بین‌المللی ترجمه و نشرالمصطفی ﷺ، ۱۳۹۴.
شابک:	۹۷۸-۹٦٤-۸۹٦۱-٦۷-٦
وضعیت فهرست نویسی:	فیپا
یادداشت:	کتابنامه.
یادداشت:	چاپ اول: ۱۳۸٦.
موضوع:	جبر و اختیار
شناسه افزوده:	واسطی، حسین، مترجم
شناسه افزوده:	جامعة المصطفی ﷺ العالمیة. مرکز بین‌المللی ترجمه و نشر المصطفی ﷺ
رده بندی کنگره:	BP۲۱۹/۶/ج۷۲۰۴۳ ۱۳۹۴
رده بندی دیویی:	۲۹۷/۴۶۵
شماره کتابشناسی ملی:	۳۹۶۰۸۲۶

الجبر والإختيار

العلامة محمد تقي الجعفري

تعريب:
حسين الواسطي

مركز المصطفى ﷺ العالمي
للترجمة والنشر

الجبر والإختيار

المؤلف: العلامة محمد تقي الجعفري

تعريب: حسين الواسطي

الطّبعة الثانية: ١٤٣٦ق / ١٣٩٤ش

النّاشر: مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي للترجمة والنشر

المطبعة: نارنجستان ● **السّعر:** ١٤٠٠٠٠ ريال ● **عدد النّسخ:** ٣٠٠ نسخة

حقوق الطبع محفوظة للناشر.

مراكز التوزيع:

● ايران؛ قم، ساحة الشهداء، شارع معلم الغربي (شارع الحجّتية)، زقاق ١٨. هاتف: ٣٧٨٣٩٣٠٦ ٢٥ ٩٨+

● ايران؛ قم، شارع محمّد الأمين، تقاطع سالاريّة. هاتف: ٣٢١٣٣١٠٦ ٢٥ ٩٨+ فاكس: ٣٢١٣٣١٤٦ ٢٥ ٩٨+

● ايران؛ قم، مجتمع الناشرين، الطابق الثالث، رقم المجتمع ٣٠٨. هاتف: ٣٧٨٤٢٤٠٢ ٢٥ ٩٨+

pub.miu.ac.ir miup@pub.miu.ac.ir

نشكر أعضاء المركز الذين تابعوا مراحل الطبع والنشر حتى مراحلة الاخيرة.

كلمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيّبين الطاهرين المعصومين. وبعد، إنّ التطوّر المعرفي الذي يشهده عالمنا اليوم في مختلف المجالات، خصوصاً بعد ثورة الاتصالات الحديثة هيّأ فرصاً فريدة للاطلاع الواسع، ودفع بعجلة الفكر والثقافة والتعليم إلى آفاق واسعة.

وغدا الإنسان يترقّب في كلّ يوم تطوّراً جديداً في البحوث العلمية، وفي المناهج التي تنسجم مع هذا التطوّر الهائل، ومع كلّ ذلك بقيت بعض المناهج الدراسية حبيسة الماضي ومقرراته.

وبعد أن بزغ فجر الثورة الإسلامية المباركة بقيادة الإمام الخميني قدس سره، انبثقت ثورة علمية وثقافية كبرى، ممّا حدا برجال العلم والفكر في الجمهورية الإسلامية أن يعملوا على صياغة مناهج دراسية جديدة لمجمل العلوم الإنسانية، والإسلامية بشكل خاص؛ فأحدث هذا الأمر تغييراً جذرياً وأساسياً في الكتب الدراسية في الحوزات العلمية والجامعات الأكاديمية.

وفي ظلّ إرشادات قائد الجمهورية الإسلامية الإمام الخامنئي (مدّظلّه)؛ أخذت المؤسّسات العلمية والثقافية على عاتقها تجديد الكتب الدراسية وتحديثها على مختلف الصعد، بخاصّة مناهج الحوزة العلمية، التي هي ثمرة جهود كبار الفقهاء والمفكرين عبر تاريخها المجيد.

من هنا بادرت جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية إلى تبنّي المنهج العلمي الحديث في نظامها الدراسي، وفي التأليف، والتحقيق، وتدوين الكتب الدراسية لمختلف المراحل الدراسية، ولجميع الفروع العلمية، وفي شتّى الموضوعات، بما ينسجم مع المتغيّرات الحاصلة في مجمل دوائر الفكر والمعرفة.

فقامت بمخاطبة العلماء والأساتذة؛ ليساهموا في تدوين كتب دراسية على الأُسس

المنهجية الحديثة للعلوم الإسلامية خاصّة، ولسائر العلوم الإنسانية: كعلوم القرآن، والحديث والفقه، والتفسير، والأُصول، وعلم الكلام والفلسفة، والسيرة والتأريخ، والأخلاق، والآداب، والاجتماع، والنفس، وغيرها، حملت هذه المناهج طابعاً أكاديمياً، مع حفاظها على الجانب العلمي الأصيل المتّبع في الحوزات العلمية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام الرسالية.

ومن أجل نشر هذه المعارف والعلوم، بادرت جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية إلى تأسيس «مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي للترجمة والنشر»، لتحقيق، وترجمة، ونشر كلّ ما يصدر عن هذه الجامعة الكبيرة، ممّا ألّفه أو حقّقه العلماء والأساتذة في مختلف الاختصاصات، وبمختلف اللغات.

والكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ، **الجبر والإختيار** هو مفردة من مفردات هذه المنظومة الدراسية الواسعة، قام بتأليفه الأستاذ الفاضل **العلامة محمدتقي الجعفري** وتعريبه: **حسين الواسطي**.

ويحرص مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي على تسجيل تقديره لمؤلفه الجليل على مابذله من جهد وعناية، كما يشكر كلَّ من ساهم بجهوده لإعداد هذا الكتاب وتقديمه للقراء الكرام.

وفي الختام نتوجّه بالرجاء إلى العلماء والأساتذة وأصحاب الفضيلة للمساهمة في ترشيد هذا المشروع الإسلامي بما لديهم من آراء بنّاءة وخبرات علمية ومنهجية، وأن يبعثوا إلينا بما يستدركون عليه من خطأ أو نقص يلازمان الإنسان عادة؛ لتلافيهما في الطبعات اللاحقة، نسأله تبارك وتعالى التوفيق والسداد، والله من وراء القصد.

مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي

للترجمة والنشر

الفهرس

تمهيد ١١
الكتاب ومؤلفه ١٤
المقدمة ١٧
التاريخ الاجمالي لبحث الجبر والإختيار ٢٤
١. ملاحظة الجبر والإختيار من الناحية الطبيعية ٢٧
١. الأسباب الخارجية المتغيرة ٣١
٢. الأسباب الخارجية الثابتة ٣٢
٣. الأسباب الذاتية المتغيرة ٣٣
٤. الأسباب الذاتية الثابتة ٣٣
نظرة عامة إلى قانون العلة والمعلول ٣٤
تشكيك (دافيد هيوم) حول العلّية ٣٥
التشكيك العلمي حول قانون العلّية ٣٥
تحليل الفعل إلى الأسباب الأولية ٤٥
مقدمه حول ملاحظة أقسام العمل المختلفة ٥١
أقسام العمل المختلفة ٥٢
أقسام الترك ٥٦
مقارنة بين الأعمال النفسية المحضة والعمل بمعناه الاصطلاحي ٥٩
١. النشاط النفسي الحاصل بسبب إنعكاس الظواهر المنفصلة من الخارج ٥٩
٢. النشاط النفسي الحاصل بسبب انعكاس المفاهيم المتصلة من الخارج ٥٩
٣. النشاط النفسي الحاصل بسبب تجلّى الظواهر المنفصلة من الداخل ٦٠
٤. النشاط النفسي الحاصل بسبب تجلّى الظواهر المتصلة من الداخل ٦٠

٥. النشاط النفسي المركب من الظواهر الداخلية والخارجية ٦٠
٦. النشاط النفسي ٦٠
٧. النشاط النفسي المنطقي ٦١
١. النشاط النفسي الحاصل بسبب انعكاس الظواهر المنفصلة من الخارج ٦١
٢. النشاط النفسي الحاصل بسبب إنعكاس الظواهر المتصلة من الخارج ٦٣
٣. النشاط النفسي الحاصل بسبب تجلّى الظواهر المنفصلة من الخارج ٦٤
٤. النشاط النفسي الحاصل بسبب تجلّي الظواهر المتصلة من الداخل ٦٨
٥. النشاط النفسى المركب من الظواهر الداخلية والخارجية ٦٩
٦. النشاط الاستنتاجي النفسي الشخصي ٧٠
٧. عملية التفكير المنطقي ٧١
مقدمة في الإرادة بمعناها العام ٧٢
التغاير الأساسي بين إرادة الإنسان والحيوان ٧٢
الإرادة ليست ظاهرة بسيطة دائماً ٧٤
ترجيح العمل من خلال الإرادة ٧٥
علاقة الإرادة بالعمل ٨١
١. الأعمال الإنتاجية ٨٢
٢. الأعمال غير الانتاجية ٨٣
محرك الإرادة في الإنسان أعمق منه في الحيوان ٨٤
أقسام الأعمال الإرادية ٨٤
الأسباب العادية للأعمال الإرادية ٨٥
الأسباب اللاعادية للأعمال الإرادية ٨٧
ظاهرة الإرادة الطبيعية وأقسامها ٨٨
اختلاف أنواع الإرادة ٩٠
مزيد بيان حول أنّ الإرادة ليست ظاهرة واحدة ٩٢
ما هو دور الإرادة في العمل؟ ٩٥
الفرق بين الإرادة والتصميم ٩٦
خطأ في استعمال الإرادة والتصميم والاختيار ١٠٠
سقوط الإرادة في بعض الأعمال ١٠١
هل الإرادة حرة؟ ١٠٣
بحث إجمالي حول «الأنا» ١٠٣

ظاهرة الاختيار (إشراف «الأنا» وسيطرتها) ١٠٧
الاختيار ذو مراتب مختلفة ١١٣
تقسيم الأعمال نظرا إلى الطريق الثاني ١١٦
توضيح آخر حول انفتاح الطريق الثاني ١١٩
عدم صدور الاعمال عن يقين مئة بالمئة دائماً ١٣٣
هل يحدث الاختيار بعد الإرادة؟ ١٣٥
حاجة الأعمال الإرادية الاختيارية ـ إلى إرادتين أمر ضروري، ويكون ممكناً ١٣٨
بتصميمين وإشرافين ١٣٨
التباين بين الإرادة الاضطرارية والاختيارية في مواجهة الموانع ١٤٤
استمرار قيمة الاختيار وتلاشيه ١٤٦
ظاهرة الاختيار وقانون العلّية ١٤٨
العلة والمعلول في الأفعال الاختيارية ١٥٢
هل هناك علاقة بين الأنشطة المزدوجة للغرائز؟ ١٥٣
الحرية لا تقبل التصوير ١٥٦
قوة التلقين والتخيل من أفضل الأدلة على النشاط النفسي ١٥٨
بدأ نمو قوة المقاومة منذ فترة الطفولة وثبوت استقلالية الروح بالتدريج ١٦١
قوة المقاومة أمام العوامل الثانوية الأربعة ١٦٣
١. قوة المقاومة أمام العوامل الموضوعية المتغيرة ١٦٣
٢. قوة المقاومة أمام العوامل الموضوعية الثابتة ١٦٥
٣. قوة المقاومة أمام العوامل الذاتية المتغيرة ١٦٨
٤. قوة المقاومة أمام العوامل الذاتية الثابتة ١٦٨
بعض المواضيع التي لها أهمية في موضوع الجبر والحرية ١٦٩
الوراثة ١٦٩
الذكاء والموهبة (الاستعداد) ١٧٠
العادة ١٧١
ملاحظة الأعمال الحرة ضمن مجموعة العالم المتناسق ١٧٣
١. الندم ١٨٣
٢. الشعور بالمسؤولية ١٨٥
٣. العار والشنار ١٩٠
٤. اختلاف الدوافع في امتثال الواجب (التكليف) ١٩١

٥. الأخلاق ١٩٧
الوجدان الغريزي والوجدان الأعلى ٢١٥
مدى حرية الإنسان أمام قوى الطبيعة ٢٢٠
مدى حرية الإنسان أمام العوامل الاجتماعية ٢٢١

٢. الجبر والإختيار من الناحية المابعد الطبيعية ٢٢٥
إرادة الله وأعمال الإنسان الاختيارية ٢٣٧
المشيئة الإلهية وأعمال الإنسان الاختيارية ٢٤٢
العلم الإلهي بأفعال الإنسان الإختيارية ٢٤٧
بعض الآيات الأُخرى التي استدل بها الجبريون ٢٥٠
نسبة الحسنات إلى الله والسيئات إلى الإنسان ٢٥٥
لِمَ خلق الله بعض النّاس مع أنّه كان يعلم أنّهم سيضلون؟ ٢٥٥

٣. ملاحق الجبر والإختيار ٢٧٧
ظاهرة الشر والكوارث في العالم ٢٨١
مقياس محدد في تعيين الإنسان المعتدل ٢٨٨
الدعاء والعالم النظامي ٢٩٠

المصادر ٢٩٧
الاعلام ٢٩٩

تمهيد

لقد دأب الانسان منذ أن عرف نفسه كموجود له مكانته في هذا العالم أن يحل اشكالية كبيرة لطالما راودته واقضت مضجعه واثارت في نفسه زوبعة فكرية ونفسية وجدلا مريراً وكبيراً بين ابناء جلدته انبثقت اولاً من خلال ما وجده من نفسه بإعتباره كائناً يتمتع بالقدرة والارادة استطاع بهما أن يشعر بفاعليته ودوره في تغيير مجريات الامور في حياته، ولعل النجاح الذي أحرزه في تحقيق ذاته والتغلب على مصاعب الحياة على مرالتاريخ هو الذي جعله يشعر بأنه موجود يملك الاختيار في تحديد مصيره الشعور الذي كثيراً ما كان يرافقه نوع من النشوة والغرور هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى واجه الانسان ظروفاً قاسية كدّرت له صفو العيش واذاقته مرارة الحياة مما جعله يشعر بأنه موجود ضعيف لا قوه له ولا حيلة ولا يستطيع أن يقدم ولايؤخر في حياته وانه مسلوب القدرة والاختيار والارادة ليس بامكانه أن يحدث تغييراً في واقعه القاسي الذي فرض عليه اشياء وأمور كان يعتقد حتى اللحظة الاخيرة قبل فرضها عليه انه لايريدها ولا يسعى الى تحقيقها لانه خطط ورسم طريقا يعاكس هذا الاتجاه الذي فرضته عليه هذه الاشياء، ولعل هذين الشعورين المتضادين المنبثقين أحدهما من حقيقة وجدانية أدركها بفطرته السليمة وبعقله الذي آمن بقانون العلية الساري في جميع ظواهر الكون الشاسع، وثانيهما من ظروف معقدة غيمت عليه سماء الحقيقة في

فكره وعقله وزلزت قدرته وارادته ـ الحقيقيتين الساطعتين في نفسه ـ أدركها بطريقة مختلفة وفي جو تسوده سحب الجهل واللامعرفة وتغيب فيه المعرفة الواضحة كما في الشعور الاول هما اللذان دفعا بالبعض ان يتجه اتجاهاً جبرياً يخضع فيه الانسان وافعاله جميعاً لله ـ اي يعتقد بانتفاء اي دور له في افعاله ـ او لقوانين الطبيعة، وبالبعض الآخر الى اتخاذ فكرة نبعت من رؤية ساذجة عجزت أن تحلل واقع القدرة المحسوسة في داخله، ومن هنا بدأت معركة الآراء، معركة الجبر والاختيار التي لم تحسم نتيجتها حتى الآن ولم يخرج منها من يحمل راية النصر، ولا من يحمل وصمة الهزيمة.

هناك روية جبرية فلسفية عامة ترى أن حدوث كل شيء محاط بمجموعة من الشروط يستحيل بافتراضها أن يكون ذلك الشيء شيئاً آخر، وهناك عدة قراءات لهذه الرؤية قد انعكست على مجالات فكرية مختلفة، فقد ظهرت على شكل جبر اخلاقي في فكر سقراط حيث ذهب الى ان الانسان يختار ما هو الافضل في رأيه وليس بامكان اي انسان ان يختار ما يراه سيئاً أوشراً، واستدل افلاطون الذي آمن هو الآخر بهذا الرأي بأن الانسان الذي عرف ما هو الافضل والحسن لن يختار غيره اطلاقاً واستنتج الاثنان بأن الفعل السيئ او القيام بالعمل الخطأ ينتج عن اللا اختيار أو عن الجهل، ومن هنا نشأت الفكرة السقراطية "العلم فضيلة والجهل رذيلة " وقد تصور البعض ان هذه الرؤية العقلية الاخلاقية تمثل نوعاً من الجبر اذ قد افترض فيها ان افعال الانسان الارادية خاضعة لخير ظاهري دائماً فان لم يكن هناك ما يوجب افعال الانسان فهذا (الخير) يوجبها وآمن اصحاب هذا الاتجاه بأن الافعال لاتحدد ولاتقلل من حرية الانسان فحسب بل توسع نطاقها أكثر لأن الحرية تعني تحديد وايجاب الارادة من خلال الأمر الحسن فاذا تم ايجاب الارادة بالامر السِئ فان هذا يعني الاسترقاق والعبودية وانه كلما كانت موجبية الاردة او اختيار الانسان أقل من الخير الاعلى فانها تبتعد عن الحرية الكاملة بنفس ذلك المستوى وعليه يصف افلاطون الحاكم السئ

الذي يبادر الى عمل الشر بسبب جهله بالخير بالانسان الرق يستحق الشفقة.

وكان ديكارت يـرى ان الذي يـعلم بـهدفه وغـايته الحـقيقية أو الخـير الاعـلى لا يستطيع ان يرفضه لصالح شئ آخر أقل خيراً ونفعاً لذلك يعتقد بأن الاختيار هو عبارة عن العلم بالخير والى ذلك ذهب تو ما الأكويني ايضا.

ورفض ارسطو هذه النظرية الجبرية الاخـلاقية لأنـها تـخالف الحـقيقة البـديهية ـ حسب رأيه ـ المتمثلة في مبدأ عدم التعفف أو اللا تعفف؛ اذ من الواضح في رأيه ان الانسان قد تتعارض رغباته وميوله مع عقله فتراه يميل الى الزديلة بالرغم مـن عـلمه بها، وأخذ جون لوك بهذا الرأي ايضاً، فالمدمن على شرب الخمر يواصل شربها رغم معرفته بمضارها.

وهناك رأي في التراث الفلسفي الغربي اليوناني يؤمن بأن المنطق بحد ذاته يوجد شعوراً بأن ارادة الانسان مقيدة ومـقهورة وليس بـا مكـانها ايـجاد التـغيير وأمـا عـلى مستوي الفكر الاسلامي فقد اتـخذت مسألة الجـبر والاخـتيار طـريقاً مـن نـوع آخـر واختلف المسلمون بعد فترة غير طويلة من وفاة النبي حول إختيار الانسان وجبره في افعاله بعد أن دخلت أفكار أجنبية على الاسلام والمسلمين تحمل نظرات هي حصيلة تراث يمتد الى حضارات اخرى.

ويطرح البحث حول الجبر والاختيار من ناحيتين:

الاولى: الناحية الكلامية التي اشتعل فتيلها بين الاشـاعرة والمـعتزلة حـيث ذهـبت المدرسة الاولى الى عدم وجود الاختيار لدي الانسان وأنه مقهور ومجبور في افـعاله والفاعل الحقيقي هو الله سبحانه والثانية ذهبت الى كون الافعال كلها تصدر من الانسان محضاً ولادخل لله تعال فيها. وقد اتخذ الشيعة مذهباً وسطاً بين الرأيين وهو ما تمثل في العبارة المشهورة القائلة: لاجبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين.

الثانية: الناحية الفلسفية وينصب البحث فيها على ان الفعل الصادر سواء من الله او

من الانسان هل صدر اختياراً أو من غير اختيار ؟

وأما الناحية الاولى فقد فسر الأمر بين الامرين بعدة تفاسير:

منها: ان يكون لكل من الانسان والله تعالى نصيب في الفاعلية حيث تكون هناك علاقة طولية بين فاعلية الله تعالى والانسان الذي هو الفاعل المباشر للفعل بما يتمتع به من قدرة على الافعال والله تعالى هو الفاعل غير المباشر من حيث انه جل وعلا هو الذي خلق هذه القدرة وهي مخلوقة حدوثاً وبقاءً وتفاض منه لحظة بلحظة.

ومنها: ان يكون الفاعل المباشر هو الله تعالى غيرأن الارادة البشرية ومبادئها مقدمات اعدادية لصدورها منه تعالى.

ومنها: ان لله نصيب في الوجود حدوثاً وبقاءً غير ان القدرة علي ايجاد الفعل وتركه راجعة الى الانسان حيث ان الوجود وان كان هو الاساس الذي لولاه لما كانت للانسان القدرة على الفعل وتركه إلا أن هذه القدرة في اختيار الانسان والفعل فعله. وهكذا هناك وجوه أخرى طرحت لتفسير الامر بين الأمرين ليس هنا مجال لاستفصاءها واقتناء الاصوب منها آملين أن تسنح الفرصة لذلك في المستقبل.

الكتاب ومؤلفه

ولد العلامة محمد تقي الجعفري عام ١٩٢٥ في مدينة تبريز الواقعة شمال غرب ايران وبعد ان درس مقدمات العلوم الدينية في مدينته تركها ليواصل دراسته في طهران وقم والنجف الاشرف حيث حصل على درجة الاجتهاد و ـ هي اعلى درجة علمية في المذهب الشيعي ـ وقد توفى العلامة عام ١٩٩٨ اثر مرض عضال في لندن.

ترك العلامة الجعفري مؤلفات عديدة تناولت عدة مجالات فقهية فلسفية، ادبية وحقوقية وغيرها والميزة البارزة لفكر العلامة هو الشمولية والعمق والدقة في كل موضوع تطرق اليه.

وأما مؤلفاته فمنها: ١) الجمال والفن في الاسلام؛ ٢) الوجدان؛ ٣) الفلسفة وهدف

الحياة؛ ٤) رسالة العقل؛ ٥) الموسيقي من ناحية الفلسفة وعلم النفس؛ ٦) العشق في ديوان المثنوي؛ ٧) العقل في ديوان المثنوي؛ ٨) ترجمة نهج البلاغة؛ ٩) على أجنحة الروح؛ ١٠) الثقافة الرائدة والثقافة التابعة؛ ١١) دراسة في فلسفة العلم؛ ١٢) العرفان (التصوف) الاسلامي؛ ١٣) تحليل شخصية الخيام؛ ١٤) دراسه نقدية لافكاربرتراند راسل؛ ١٥) الامام الحسين الثقافة الانسانية الرائدة؛ ١٦) شرح ديوان جلال الدين الرومي (المثنوي)؛ ١٧) التكوين والانسان؛ ١٨) الجبر والاختيار (و هو الكتاب الذي بين يديك) وكتب اخرى.

واما هذا الكتاب فهو يتكون من مقدمة يتناول فيها اهمية موضوع الجبر والاختيار وتقسيم البحث،و فصلين أحدهما ملاحظة الجبر من ناحية طبيعية وفيه تناول دراسة الجبر والاختيار من ناحية نفسية وعقلية تحليلية ويشكل هذا الفصل معظم أبحاث الكتاب حيث خصص له ما يقارب المائتين صفحة منه وثاينهما ملاحظة الجبر والاختيار من الناحية الما بعد طبيعية حيث تناول فيه ١٧ نظرية في الجبر والاختيار ثم عرض الآيات التي ادعى انها تدل على الجبر وناقشها وبعد ذلك قسم الآيات المرتبطة بالموضوع الى خمس مجموعات وختم الكتاب بخاتمة تناول فيها ثلالث قضايا يعتقد انها ترتبط بموضوع الجبر والاختيار

الاولى: قضية البداء؛

الثانية: ظاهرة الشرفي العالم؛

الثالثة: الدعاء والعالم النظامي؛

والجدير ذكره هنا أن العلامة الجعفري قد طرح في هذا الكتاب آراء حديثة ومحاولات رائعة في تفسير عملية صدور الفعل (العمل) من الانسان وقام بتحليل الاسباب والدوافع الدخيلة في تكوين العمل وصدوره، اذ ذهب الى ان الدوافع المؤثرة في صدور العمل مضافاً الى مبدأ طلب اللذة ودفع الألم هي العوامل الخارجية

المتغيرة والعوامل الخارجية الثابتة والعوامل الذاتية المتغيرة والعوامل الذاتية الثابتة، ولأول مرة نجد شخصية فلسفية (في حدود علمي طبعاً) من الوسط الفلسفي العقلي الاسلامي ترفض مبدأ السنخية في مجال الاعمال والافعال البشرية، ذلك المبدأ العقلي المحاط بهالة من الاحترام والقداسة لدي الفلاسفة العقليين، ولاأستبعد صحة ما ذهب اليه العلامة ليس في مجال الافعال البشرية فحسب بل في مجالات اخرى ايضاً.

ومما يميز هذا الكتاب ايضاً هو ما عرضه من خصوصيات الارادة وفرقها عن الرغبة والتصميم ومكونات الارادة والارادة الحرة ودرجات الاختيار وتساقط الارادة وكل ذلك تم بحثه في الفصل الاول.

فلا اطيل علي القارئ الكريم وأدعوه الي قراءه الكتاب قراءة جادة ودقيقة ليجد فيه بعض الذي اشرنا اليه أو اكثر.

وفي الختام أود التأكيد على أن الكتاب قد ألف منذ أكثر من ثلاثة عقود وحاولت في ترجمتي هذه أن اراعي جانب الامانة في نقل النص أكثر من التدقيق في جزالة اللفظ وجماليته وان لم اترك الخصوصية الاخيرة بتاتاً.

وكنت اود كثير ان اتناول هذا الموضوع بشي من التفصيل والتحليل والاستيعاب غير ان الفرصة لم تكن مؤاتية واسأل الباري عزوجل ان يمنحني الفرصة لدراسته مستقبلاً.

و أخيراً لايسعنى الا ان أقدم جزيل شكري الى المركز العالمي للدراسات الاسلامية لا سيما من اتاح لي هذه الفرصة لأقدم عمل من اعمال احد رجالات الفكر الاسلامي في ايران الي العالم العربي واقصد الشيخ الطيار والاخوة العاملين معه كما وأشكر الآنسة شهلاء دارسنج كثيراً حيث تحملت عناء طباعة الكتاب الاولى راجياً المولى القدير ان يوفق الجميع لمرضاته انه سميع مجيب.

حسين الواسطي
٢٠٠٧/٥/١١
٢٣/ربيع الثاني/١٤٢٨

المقدمة

لا نرى حاجة في المزيد من البيان حول أهمية موضوع الجبر والإختيار، بل يكفينا أن نعلم بأنّا لم نجد مفكراً قط له معرفة بالطبيعة البشرية وخصائصها ولم يعرض هذا الموضوع ضرورة معالجته عليه، أو لم يلفت إنتباهه على أقل تقدير، بل إذا ألقينا نظرة دقيقة يمكننا القول: إنّه قد لا يوجد إنسان عاقل لم يفكر في أن أموره الحياتية المادية منها، أو المعنوية، خصوصاً ذات الأهمية منها، هل صدرت منه بمحض إرادته وإختياره، أو أنّه اجبر على القيام بها؟

وقد يتصور الإنسان عندما يتأمل عميقاً بأنّه قد يجب البحث عن سرّ الطبيعة البشرية في موضوع الجبر والإختيار، وقد كشف (جان جاك روسو) عن هذه الحقيقة قائلاً:

«ذلك إنّ أكبر فرق بين الإنسان والحيوان ليس هو الفهم والفكر، بل هو الإرادة والإختيار.»[1]

وقد أبدى القراء الكرام بعد طبعة الكتاب الأولى آراء مختلفة، فقد وضع بعضهم موضوع هذا البحث في الدرجة الأولى من الأهمية، وعبر عن ارتياحه لما طرحه الكتاب من جوانب متعددة في هذا الموضوع المهم جداً، وذهب بعض آخر إلى عكس الرأي السابق، قائلاً: بأنّ موضوع الجبر والإختيار أمر مستعص لايمكن حلّه إلىٰ

---

١. جان جاك روسو، العقد الاجتماعي، ص ٤.

الأبد، وسوف لن تعطي هذه الدراسات أية نتيجة مطلوبة، بينما تصور آخرون عندما سمعوا أنّ عنوان الكتاب هو الجبر والإختيار، وأني تناولت البحث عن هذه المسألة من الناحية ماوراء الطبيعية فقط، وبما أنّ أكثر قضايا ماوراء الطبيعية قضايا مجهولة فستكون أبحاث موضوعنا أبحاثاً بعيدة عن المنهجة العلمية، ومن هنا قالوا: ينبغي علينا بحث القضايا التي يمكن إثباتها.

هذا، ويجب القول بأنّ هذا الكتاب يحتوي على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: دراسة الجبر والاختيار من ناحية علمية محضة، فقد حاولنا قدر الامكان إخضاع هذا الفصل للمنهج العلمي سواء من ناحية سايكولوجية (نفسية)، أو من ناحية العلوم ذات العلاقة بالإنسان.

وبحثنا الموضوع في الفصل الثاني من ناحية فلسفية، كما درسناه في الفصل الثالث من وجهة نظر ميتافيزيقية، ولكن برؤية ومنهجة إسلامية.

فأمّا الذين قالوا: إنّ هذه المسألة مستعصية الحلول إلى الأبد، وإنّه لا طائل في هذه الأبحاث، فنقول لهم: إنّه كانت هناك مشاكل علمية مختلفة على مر التاريخ هي في نظر البعض من المسائل المستعصية، لكنها وبمرور الزمان وبفضل المساعي المتواصلة الدؤوبة والمصحوبة بالإخلاص خرجت من حالتها المستعصية في النهاية، لذلك نحن لا نسمح لليأس بأن يستحوذ علينا مهما كان، حيث سنبدأ بتمهيد مقدمات هذه الأبحاث آملين أن تكون الأجيال الآتية قادرة على الكشف عن أسرار هذا اللغز أكثر فأكثر، وأن تخطو خطوات أكثر فاعلية في معرفة الطبيعة البشرية.

إذا أردنا في يوم ما أن نجيب بدقة عن هذه المسئلة كما تطرح مع تطور الحضارة يوماً بعد آخر بنفس تلك الجدية. وهي: أننا لماذا ولدنا؟ ولأي شيء نعيش؟ وإلى أين نذهب؟ فإنّه يتحم علينا بحث موضوع الجبر والإختيار بإسلوب أكثر جدية.

نحن نعتقد بأنّ إتّباع المنهج الفلسفي والتلاعب بالمفاهيم التجريدية فيما يتعلق

بهذا الموضوع ـ كما كانت عليه الحال في الماضي ـ ليس هو غير كافٍ فحسب، بل إنّه سيجعل مجهولنا أشد ظلمة يوماً بعد يوم؛ ولذا يجب علينا أن نبذل قصارى جهدنا في إقامة التجارب والدراسات العلمية ذات الصلة بهذا الموضوع، ذلك أنّها وإن كانت وما تزال على الشريط الفاصل بين الطبيعة وما بعد الطبيعة، بيد أنّ الجانب الطبيعي منها أشد حساسية وأكثر أهمية، إذ انّ الجميع يشترك في الجانب الطبيعي منها، بمعنى أننا لانجد في تاريخ البشرية أحداً ليس له مع هذه المسألة بشكلها الطبيعي تعاطي خاصاً، هذا مضافاً إلى إنّنا سنقف على جانبها الميتافيزيقي (ماوراء الطبيعية) من خلال هذه الناحية أيضاً.

ولمزيد من التوضيح حول أهمية موضوع الجبر والاختيار يجب أن نضع في اعتبارنا أنّ جميع العلوم ذات الصلة بالإنسان، كالعلوم النفسية بجميع فروعها المختلفة، والعلوم الاقتصادية، والقانونية، والأخلاقية، والسياسية، والدينية وغيرها، لا يمكن أن تؤدي دورها الكامل إلّا إذا فرغنا من بحث موضوع حرية وإرادة الإنسان وجبره بصورة كاملة. فإنّه ما لم نفرغ من معرفة أنّ الإنسان هل يستطيع القيام بأفعاله بحرية واختيار أم لا؟ سيكون كل أصل، أو قانون وضعناه في تلك العلوم للإنسان بمثابة من شيد عمارة ضخمة وجميلة على أساس يجهل مدى مقاومة البناء له، ومن دون دراسة ومحاسبة هندسية لتلك المقاومة، ثم يأتي بصباغ حاذق يقوم بطلائها، فكما لا يمكن الاعتماد على استحكام ودوام تلك العمارة، بل على سلامتها من الناحية الهندسية كذلك قانون الحقوق والإقتصاد والسياسة التي توضع في حق إنسان مجهول.

إنّي أتصور بأنّ تناول موضوع الجبر والاختيار باعتباره مسألة علمية (تخصّصية) في كتب صغيرة، أو مقالة مختصرة في الفلسفة، أو علم النفس يؤدي إلى إنتكاسة المعارف البشرية في أكثر القضايا ذات الصلة بالإنسان أهمية وخطورة.

إذا كنا نجهل أن الإنسان هل يمتلك قوة الاختيار والحرية في داخله أم لا؟ وأي دليل للحرية الاجتماعية لابدّ من تقديمه علىٰ أساس أنّه الهدف المنشود للمجتمعات

الإنسانية المتحضرة؟ تلك الحرية التي عدّ بعض المثقفين المعاصرين التساؤل حول ضرورتها وحقيقتها كفراً محضاً.

ونحن إن لم نقبل بأيّة حرية للإنسان، أو نقول لا تفكروا في اختيارية الإنسان أو جبره؛ لأنّ هذه القضية ستظل مجهولة إلى الأبد، أو نقول بأن الإنسان حر ومختار مطلق، بكل ما للاختيار من معنى، فكيف يمكننا القيام بصياغة مفهوم واضح من خلال تركيب كلمتي الحرية الاجتماعية، كأي تركيب آخر نظير حاجة المجتمع إلى الطعام والسكن والماء، بحيث نحاول أن نجد المصداق الخارجي لذلك التركيب (الحرية الاجتماعية). فهل بإمكاننا أن نحصل على عدد عن طريق وضع المئات من الأصفار! ويمكننا الحكم على مجموعة من النقاط المبهمة التي لا نعرف أهي أصفار أم عدد ما حكماً يقينياً بأنّ مجموعها يشكل عدداً؟! وأن نجزم بذلك؟ أو ما لم نعرف ميول البشر اللامحدودة بشكل منطقي وغير حيادي، كيف يصح لنا أن نقول: إنّ المجتمع له الحرية في أن يختار الطريق الذي يريد.

واعتقد أنّ هذه المشاكل والتساؤلات هي التي اقضّت مضجع (آلفرد نورث وايتهد) وأمثاله، وأثارت روحه الهادئة بحيث دعاه ذلك إلى إعادة النظر في مفهوم الحرية الاجتماعية، فقد صرّح قائلاً: «لم ينحل شيء من الخلافات من وجهة النظر السياسية للعالم القديم حتى هذه اللحظة، فكل القضايا التي كان قد عرضها إفلاطون مازالت مطروحة على بساط البحث في العصر الحاضر أيضاً، على الرغم من وجود اختلاف أساسي بين النظريات القديمة والحديثة، فنحن نختلف مع القدماء في موضوع اتفق جميعهم عليه، فقد كانت العبودية آنذاك تشكل محور استدلالات المفكرين السياسيين، واليوم الحرية هي الأساس في استدلالاتهم واستنتاجاتهم. فقد واجهت العقول المفكرة قديماً صعوبة في التوفيق بين مبادئ الفكر العبودي وبين الحقائق الأخلاقية البسيطة والمنهج الاجتماعي، وتواجه مناهج بحثنا الاجتماعي صعوبة أيضاً في هذه الأيام من أجل التوفيق بين مبادئ الحرية وبين مجموعة أخرى من الحقائق

الواضحة المربكة والرافضة للتوفيق، والتي يتصور بأنّها ضرورة وحشية مفعمة بالكراهية. ومع ذلك فقد كوّنت الحرية والمساواة الممزوجتين بالمعايب محور الأفكار الحديثة، بينما كانت العبودية عند المتقدمين الحجر الأساس لاستدلالات مماثلة حاوية للعيوب.»[1]

ولنفترض أنّنا لم نتوصل في بحوثنا حول اختيار الإنسان إلى أي نتيجة إيجابية، أي لم نستطع التخلّص من قبضة قانون العلّة والمعلول التقليدي، ولكن بإمكاننا أنّ نجعل المجتمع البشري يقبل هذا المبدأ، وهو أنّكم تمتلكون قوة تستطيعون من خلالها قطع سلاسل النزعة النفعية الفردية والتمتع بحياة أكثر رقياً وإنسانية.

وبعبارة أخرى: نحن نستسلم بداية لمدرسة الجبريين وإن كنّا لا نخشى كلمة الجبر ونقول: إنّكم علىٰ صواب من أنّه لاتوجد في الإنسان قوة تسمى الاختيار، غير أنّكم تشعرون بهذه الظاهرة البديهية، وهي أنّ للإنسان القدرة على تصعيد مقاومته قبال الدواعي المنحطة، وإخضاع نفسه لتأثير دوافع أكثر رقياً، كأن يتجاهل المرء العوامل

---

1. Now in respect to the political factions of the ancient world nothing has yet been settled. Every problem which plato discusses is still alive today. yet There is a vast difference between ancient and modern political theories. for we differ from the arcients on the one premise on which they were all agread. slavery was the Presupposition of political theorists then. Freedom is the presupposition of political theorists now.

   In those days the penetrating minds found a difficulty in reconciling their doctrine of slavery to certain plain facts of moral feeling and of sociological practice, and in these days our sociological speculations find a difficulty in reconciling our doctrine of freedom to another group of plain facts perplexing irreconcilable only to be conceived as a hateful brute necessity.

   Yet when all such qualifications have been made freedom and Equality constitute an inevitable presupposition for modern political thought. With an a admixture of subsequent iam qualification while slavery was a corresponding presupposition for the ancient with their admixture of iam qualification.

الضعيفة بانتهاء مرحلة الطفولة والشباب، ويواصل نشاطه في الحياة في ضوء أسباب أشد قوة وفاعلية، وأن يخلق في نفسه المقاومة للتخلص من الدواعي الحيوانية المنحطة.

قال (أينشتاين): «إنّ هذه الحرية نعمة إلهية، وهي موهبة عظمى لمن نالها، ومع ذلك فبإمكان المجتمع أن يساهم في توفير هذه الحرية إلى حدٍ ما، بمعنى إحترام الذين حصلوا عليها أمراً ثانوياً، وأن يتحاشى عن إيجاد المشاكل في سبيل تحققها.»[1]

وسنبذل قصارى جهدنا في هذا الكتاب لعرض أبحاث حول الجبر والاختيار، ولن يكون تقييمنا حول ما جاء في الكتاب إلّا أنّ نقول بأنّنا تناولنا هذا الموضوع بصورة أكثر تفصيلاً إلى حدٍ ما، ونأمل أنّ يكون هذا الكتاب مقدمة مفيدة لدراسات مستقبلية في هذا المجال، يجدر بنا تقديم مقدمة هنا:

عقيدتان هامتان حول الأفعال الإنسانية:

يظهرمن قراءة كتابات المتقدمين والمعاصرين أنّ جميع المفكرين قديماً وحديثاً قد انقسموا إلى اتجاهين رئيسين تبنّى كل منهما بعض الآراء الثانوية:

قال: إنّ جميع الأفعال الصادرة من الإنسان قد صدرت جبراً، ولا توجد هناك ظاهرة باسم الاختيار (الحرية)، وإنّ كل الذي قد يبدو من أفعالنا أنّه اختياري ناتج عن قصور إدراكنا في التوصل إلى معرفة العلل الخفية الكامنة وراء تلك الأفعال، وقد اشتهر عن (باروخ (اسبينوزا)) أنّه قال: «إنّ هذا الخطأ[2] نظير ان يتصور خاتم في اصبع انسان ان له اختياراً في حركته في تصور الحركة الاختيارية لمن وضع خاتماً فأصبعه».

وقد عبّر آخرون عن هذا الرأي من خلال بعض الاستعارات والتشبيهات أيضاً، فقد شبّه المولى الرومي الجبر من جهة علاقة الأفعال البشرية بالعالم الميتافيزيقي (مابعد الطبيعة) بالأبيات التالية:

---

١. محمد على جمال زاده، آزادى وحيثيت انسان، ج ١٥٦، ص ١٥٥.

٢. أي الحكم على ظاهر الأفعال بكونها اختيارية (المترجم).

غافل عن احوال الدنيا ليلاً ونهاراً كالقلم الذي يتقلب في قبضة الرب

أنّ من لم ير الكف وهي تتحرك ظن أنّ هذا الفعل من القلم

ب) وقال الفريق الثاني: تنقسم الأفعال البشرية إلى قسمين معلومين:

الاول: الأفعال الاختيارية.

الثاني: الأفعال الاجبارية.

استدل الجبريون لإثبات الجبر في حياة الإنسان بأمرين:

الأول: الاستدلال الطبيعي.

الثاني: الاستدلال بما بعد الطبيعة.

والمقصود من الاستدلال الطبيعي إجمالاً: هو أنّ ملاحظة طبيعة الإنسان والأسباب التي تحيط به من كل حدب وصوب لأجل الاعتقاد القاطع بقانون العلّية تثبت أنّ الإنسان مجبر مطلقاً، وليس هناك أي اختيار والمقصود من الاستدلال بما بعد الطبيعة هو أنّ يقال: إنّ الإنسان وبسبب كونه مخلوقاً لله تعالى، فلابدّ أن ترتبط أفعاله به أيضاً.

فمن جهة فإنّ المشيئة والإرادة إلالهية تحكم جميع شؤون الإنسان والعالم، إذن ليس للإنسان اختيار في أفعاله.

١. إنّ الله هو الخالق المطلق، وليس لأي موجود أن يتدخل في خالقيته.

٢. ولأنّ إرادة الله الإزلية قد تعلقت بجميع أفعال الإنسان وتروكه، وعليه يجب أن توجد كل ظاهرة بشرية قهراً وجبراً.

٣. إنّ الله يعلم بجميع أفعال الإنسان وتروكه، فيتحتم إذن تحققها طبقاً لعلمه، وإلّا أصبح علم الله جهلاً.

و هناك استدلال آخر حول الأفعال الإنسانية، قد استدل به بعض الفلاسفة الإلهيين وغيرهم لإثبات النظرية الجبرية، وهو عبارة عن ملاحظة الأفعال البشرية ضمن مجموعة من ظواهر العالم المنتظمة والمتناقسة.

وأمّا الاستدلال الطبيعي لمدرسة الجبريين فينحصر في تطبيق قانون العلّة والمعلول الذي يرى ضرورة أن جميع ظواهر العالم وهكذا تكون الأفعال البشرية التي هي جزء من هذا العالم خاضعة لذلك القانون.

التاريخ الاجمالي لبحث الجبر والإختيار

كان موضوع الجبر والإختيار محطّ اهتمام الفلاسفة والمفكرين منذ أمد طويل ويمكن من خلال تقصي تاريخ بحث هذه المسألة التوصل إلى أنّ هناك ما يقارب الست عشرة نظرية تتفرع عن تلك النظريتين الرئيستين.

نحن لا نعلم تاريخ الواقعي لبحث هذه المسألة بيد أنّ أشهر شخصية علمية وفلسفية أدركت أهمية هذا البحث واشبعته عرضاً وتحليلاً بصورة منتظمة تقريباً هو ارسطو.

وإذا كانت هناك دراسة سبقت ارسطو فهي لم تكن منتظمة بالمستوى المطلوب، وعلى أيّة حال قد خصّص ارسطو في كتاب الأخلاق إلى نيقوماخوس في الكتاب الثالث أثني عشر فصلاً، وفي الباب الثالث ستة عشر فصلاً لبحث مسألة الإرادة والاختيار، وقد بذل قصارى جهده في توضيح الفرق بين الأفعال الإرادية والإختيارية.

وبعد أن غابت شمس الثقافة اليونانية دخلت هذه المسألة حالها حال بقية المسائل الفلسفية والعلمية في الأرشيف، إلى أن أشرقت شمس الثقافة الإسلامية على المجتمعات البشرية، فخرجت المسألة المزبورة كغيرها من المسائل من حيّن النسيان، وطرحت على بساط البحث بصورة أكثر دقة وشمولية، وقد أُلّفت في ذلك الكتب والرسائل المتعددة لمعالجتها، غير أنّه يجب التأكيد على أنّ بحث المسألة ودراستها الأولية قد تمَّ ضمن أطار بحث العقائد الفلسفية والكلامية، فظهرت نتيجة ذلك نظريات كثيرة بين الفلاسفة والمتكلمين الإسلامين، سنتعرض لها في الفصل الثاني من هذا الكتاب.[1] ويحتوي هذا الكتاب على ثلاثة فصول، يشتمل كل فصل منها

---

١. الفرق بين المنهج الفلسفي والكلامي هو: أنّ المنهج الفلسفي منهج عقلي، خالص بينما يفيد ←

على المسائل التالية:

الفصل الأول: ملاحظة الجبر والاختيار من الناحية الطبيعية.

الفصل الثاني: ملاحظة الجبر والاختيار من الناحية الميتافيزيقية (الفلسفة الإلهية).

الفصل الثالث: ملاحق مسألة الجبر والاختيار.

← المنهج الكلامي من الأدلة والمبادئ الدينية في استدلالاته أيضاً. وقد قيل في تعريف الفلسفة: بأنّها علم بحقائق الموجودات بقدر الطاقة البشرية، فيستطيع الإنسان بتعلمها أنّ يستدل على إثبات عقائده الدينية، والدفاع عنها برد الشبهات.

ويتضح من هذين التعريفين؛ أنّ دائرة أبحاث الفلسفة أوسع بكثير من دائرة علم الكلام؛ إذ ينحصر اهتمام هذا الأخير بدراسة العقائد الدينية مضافاً إلى الفرق الذي أشرنا إليه أولاً.